9

تقانات استدعاء الطيف في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف

م.م. منتهى مشرف عليوي

مديرية تربية صلاح الدين

أ.د. جمعة حسين يوسف

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة تكريت

ملخص البحث

شكّلت ظاهرة الطيف في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف مكانة مميزة، فتنوعت آلياتها بحسب توظيفها في شـــعر الشـــعراء الأندلســـيين ،فهي مثّلت عالم الرؤى وعالم الأحلام في النصـــوص الشعرية ،ونجد أن الشعراء قد تأثروا بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في ذلك العصر، فدفعت النفوس المتأثرة والمتفاعلة لتنعم بخيال طيف الأحباب والأهل والأصـحاب ، وتصـور حرقة اللهفة والحنين والاشتياق. وإن المجتمع الأندلسي يمتاز بسمو الذوق الرفيع ولطفه، وذيوع الآداب الاجتماعية الراقية فيه. إنّ البحث مسـتل من اطروحة الدكتوراه الموســومة "الطّيف في الشـعر الأندلسـي في عصـر الطوائف (400هـ– 484هـ)"، وقد قام البحث على تمهيد حدد مفهوم الطيف لغةً واصـــطلاحا ، ومبحثين : كان الأول : الحوار الداخلي، ويعد دافعاً محركاً على ذكر الطيف عبر تجارب الشـعراء الشـخصـية مثّل حنينهم واشـتياقهم إلى الأيام الخالية ،وإلى ديارهم وموضـع صـباهم ولقاءهم الحبيبة فيأتي الحوار بألوان متعددة تبعاً للغاية والغرض الذي يؤديه داخل النص، ويأتي في الطيف على شكل خطاب مباشر موجه الى ذات الشاعر بصورة مباشرة أو غير مباشرة . والثاني :الحوار الخارجي ويكون بين شخصيتين أو أكثر من شخصيات النص الأدبي وفق حادثة معينة فالمتكلم يتكلم بصـورة مباشـرة الى المتلقي . ثم الخاتمة وما توصـل إليه البحث من نتائج.

الكلمات المفتاحية : اللغة والأسلوب ،الحوار الداخلي ،الحوار الخارجي .

The motives of the psychological spectrum in Andalusian poetry in the age of sects

Mr.: Prof. Dr. Gomaa Hussein Youssef Tikrit University / College of Education for Human Scienc /

Mr. M. Muntaha Musharraf Aliwi / The General Directorate of Education in Salah al-Din Governorate

Abstract

The spectrum phenomenon in Andalusian poetry in the era of sects formed a distinguished position, so the mechanisms varied according to its use in the poetry of the Andalusian poets. It represents the world of dreams and fantasy in poetry. Thus, poets were affected by the political, social and cultural conditions in that era. This urges the affected souls to be indulged in their imaginative world of their family, friends and beloved people and picture the burning of eagerness, nostalgia and longing. The Andalusian society is characterized by the high taste and kindness, and

the source of high social manners in it. This research is taken out from the phD thesis entitled "The Spectrum in the Andalsian poetry in the Era of Sects (400 AH- 484 AH)". The preface of this research defines the concept of the spectrum in language and terminology, and two chapters: the first is the internal dialogue which is considered as a motivation to mention the spectrum through the personal experiences of poets such as their time and their longing for the old days, their homes and the place of their mourning and their beloved meeting. The dialogue comes in many colors that are very full according to the purpose that the poets wanted inside the text. In the spectrum, it comes in the form of a direct speech addressed to the same poet directly or indirectly. The second topic is the external dialogue that is between two or more of the poet's personalities. According to a specific incident, the speaker speaks directly to the recipient. Finally comes the conclusion and the results.

Keywords: language and style, internal dialogue, external dialogue.

التمهيد :

يمثل الطيف في الشعر الأندلسي قيمة إنسانية خاصة ، فهو يصف لواعج الذات الإنسانية ، عبر مجموعة من الجوانب النفسية التي يشعل فتيلها الاغتراب والكبت النفسي ،وعمقت الظروف الاجتماعية في عصر الطوائف تلك الظاهرة وألهبت مشاعر وحواس الشعراء الأندلسيين ، إذ الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، فيُوصف على أنه أفضل العصور الأندلسية ،فقد أزدهر فيه الأدب وامتلأت قصور الملوك والأمراء بالشعراء ،فالحياة الرغيدة في الأندلس كانت دافعاً مميزاً على بروز الطيف ، بروز الطبيعة التي "تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر، والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر، إلى أسباب التملك الفاشية فيها، ولما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته، يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤنتهم وصلاح معاشهم وبلادهم" [1]

ومن آليات الطيف اللغة والأسلوب فهي الوسيلة التي يصل بها الشاعر إلى المتلقي، فينقل بها كل مشاعره فيتفاوت الشعراء فيما بينهم في كيفية إيصال المعنى المراد كلٌ حسب لغته .

وفي هذا البحث سنتحدث عن مجموعة من تقنيات الطيف التي أسهمت في شحذ القريحة الشعرية عند شعراء الأندلس في عصرها الذهبي ؛ لتكون مبعثاً للشعراء في وصف مشاعرهم عبر توظيف الطيف في قصائدهم الشعرية.

أولاً : الطّيف لغةً

ذكر أصحاب المعاجم دلالات كثيرة عن لفظة الطّيف ، فقيل "طاف حول الكعبة يطوف طوفاً وطَوَفاً وطَوَفاناً، والمطاف: الموضع، والطائف: العسس، والطائف: بلاد ثقيف، وقال ابن دريد: طيف: الخيال الطائف في المنام، يقال: طاف الخيال وطائف الخيال" [2]، وذكرها آخرون، بقولهم: "طيف: طاف الخيال: مجيئه في النوم، وأطاف لغة، والطِّيف: الخيال نفسه، والطيف: المسّ من الشيطان، وقال في طوف: طاف به الخيال طوفاً: ألمَّ به في النوم" [3]، وقد ذكر أحدهم رأياً نقل عن الأصمعي والفراء، ويقول في ذلك "ومما يستدرك عليه طاف به الخيال طوفا ألم به في المنام، واوية ويائية ، فالأصمعي يقول: طاف الخيال يطيف طيفاً ، وغيره يقول : يطوف طوفاً ، وطاف بالقوم يطوف طوفاً وطوفاناً ، وأطاف : استدار ، وجاء من نواحيه" [4]،والطيف هو :الخيال الطائف، أي ما يراه النائم وهو الجنون والجمع أطيافٌ [5]، وقال الآخر: "الطيف في كلام العرب الجنون، وهكذا رواه أبو عبيد عن الأحمر" [6].

ثانياً : الطّيف اصطلاحاً

إنّ دلالة الخيال تكون مرتبطة ربّما بغياب العقل ،وهي الباعث الرئيس لاشتقاق اصطلاح طيف الحبيبة، فيفصل أحد النقّاد في مصطلح الطيف بقوله: "إنه زيارة من غير وعد بخشي مَطْلُه ويخاف لَيُّهُ وفوته، واللذة التي لم تحتسب ولم ترتقب، يتضاعف بها الالتذاذ والاستمتاع، وأنه وصْلٌ من قاطع، وزيارة من هاجر، وعطاء من مانع، وبذل من ضنين، وجود من بخيل... وانه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما ولا يخشى منع منهما... والتهمة بهما زائلة والريبة عنهما عادلة.. ولا يتعلق بهما تحريم ولا يدنو إليهما تأثيم، ولا عيب فيهما ولا عار.. واني سابق إليه ومبتدئ به ،وقد تعجب الشعراء من زيارة الطيف على بعد الدار وشحط المزار، ووعورة الطرق، واشتباه السبل، واهتدائه إلى المضاجع من غير هاد يرشده ، وعاضد يعضده، وكيف قطع بعيد بلا حافر ولا خف، في أقرب مدة، وأسرع زمان ، لأن الشعراء فرضت أن زيارة الطيف حقيقة وأنها في النوم كاليقظة، فلا بد مع ذلك من العجب مما تعجبوا منه من طي البعيد بلا ركاب وجوب البلاد بلا صاحب" [7]، ويكون الشاعر في هذا الموضع "هو الطرف الأضعف في معادلة الحب والحبيبة وطيفها ،هما الطرف الأقوى ،ومن شأن القوي أن يستبد بمن هو دونه ،بل ويملي عليه شروطه " [8]، فالشاعر العاشق المتيم الذي بَعُدت عنه محبوبته تكون شاغلة فكره دائماً فهو براها في نومه ثم يتحدث عن ذلك في شعره [9] ، فعندما تضيق السبل وتتقطع الطرق يلجأ الشاعر الى الطيف فهو رسائل روحانية بين العاشقين وهو أشبه بعملية تحرر من القيود التي تسيطر على العلاقات بأنواعها وعلى تفكير الأنسان وسلوكه فلا يخاف فيه من عاذل أو لائم ليعيش فيه كواقع بعيد عن عيون الاخرين فيكون كبساط الريح يحمل الشاعر الى أماكن بعيدة غير ممكنة في الحقيقة ويمكنه من التنقل بحرية من دون رقيب أو حسيب.

ثالثاً :اللغة والأسلوب

اللغة هي الوسيلة التي يصل بها الشاعر إلى المتلقي، فينقل بها كل مشاعره فيتفاوت الشعراء فيما بينهم في كيفية إيصال المعنى المراد كلٌ حسب لغته، وقد حظيت اللغة في الشعر العربي القديم باهتمام كبير من قبل الشعراء والنقاد، إذ هي القاعدة التي لا يجوز لهم الخروج عنها، وقد أستمر الشعراء بالمحافظة عليها على مر العصور لتنتقل الى الأجيال الأخرى مع الحرص على انتقاء الألفاظ السهلة الواضحة الخالية من التعقيد وصياغة اجمل العبارات .

والأسلوب في الأصل هو " صورة ذهنية تتملأ بها النفس وتطبع الذوق من الدراسة ، والمرانة وقراءة الأدب الجميل "[10]، ومما سبق نستطيع القول إن اللغة جامدة بطبعها الا ان يأتي الشاعر فيفجرها ويحولها الى جبل من المشاعر والعواطف فهي الأساس الرصين الذي يبنى عليه الشاعر نصوصه الشعرية وهي الطريق للوصول الى مشاعر المتلقي وإثارته ،وهي وسيلة للتعبير والتخاطب بين الناس مبنية وفق قواعد وأُسس ،تعبر بها كل فئة عن نفسيتها وطبعها ومناخها الاجتماعي والتاريخي [11]،ولكل كاتب او شاعر أسلوبه الخاص في الكتابة والشعر وهذا الارتباط يجعل الأسلوب يختلف من شخص لأخر والشاعر الحذق هو الذي يتعامل مع لغته تعاملاً مميزاً ،فتكون نابعة من تجربة صادقة ،ويقال دائماً الأسلوب هو الرجل، وهو طريقة الكاتب في التفكير والشعور بالأشياء، وطريقة عرضه واستخدامه للغة ، ويجب أن يكون أسلوبه مميزاً وفريداً في عرضه للمادة [12]،ونستطيع ان نميز بين أسلوب الشعراء من خلال كثرة قراءتنا للنصوص الشعرية وبعد القراءة نستطيع ان نحكم على النص الشعري ان كان لشاعر معين.

رابعاً -الحوار:

يُعد الحوار عنصر مهم من عناصر العمل الأدبي ،وهو من أهم التقنيات السردية التي يعمد إليها الشاعر لعرض وجهات النظر المختلفة في النص الأدبي على ألسنة الشخصيات داخل النص ،ويعرّف جبّور عبد النور الحوار أنه" حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلامٌ يقع بين الأديب ونفسه ،أو من ينزله مقام نفسه كرَبّة الشعر، أو خيال الحبيبة مثلاً"[13]،وهو تبادل الكلام بين شخصيتين أو أكثر من شخصيات النص الأدبي[14]،وهو يمثل عنصراً أساسياً في العمل الأدبي فهو قادر على تحديد الأحداث وترتيبها في النص الأدبي فالحوار الفني" عبارة عن حديث بين شخصين أو أكثر تضمه وحدة في العرض والأسلوب"[15]،وأغلب اجزاء المسرحية تتألف من افعال وحوار، ولكن ليس من الضروري أن يكون في كل قصة حوار، فقد يأتي مساعداً ،وقد تخلو منه القصة وتكون على انها صورة لشخص أو رسم لحادثة ،وهذا يكون في القصص القصيرة غالباً[16]، فالحوار "يرمي الى الوصول الى جوهر الاشياء بل الى الثمرة نفسها"[17]، ويهدفُ القاصُ عبرَ الحوارِ الى إزالةِ الرتابةِ عن فعل السرد وإبعادِ الملل عن القارئ، وهو يمثلُ مواطن الشخصياتِ ورؤاها المختلفةَ تجاه الحدث القصصيّ.

للحوار حضور واسع في الشعر القصصي منذ أقدم عصوره، فهو يمثل نفساً قصصياً، ويرسم ملامح وتوجهات قصصية ربما كانت صوراً لتيارات لم تبرز بشكل واضح فيما وصل الينا من

القصيدة العربية[18]، "وفي الشعر الاندلسي قصائد ومقطعات قصصية تعتمد في أدائها القصصي على الحوار بالدرجة الاولى"[19]، وهو نمط التواصل بين الشخصيات ويسهم في تعريف القارئ بعالم الشخصية بحيث "يشكل علاقة تواصلية بين شخصيتين أو أكثر، وهو فعل كينوني قائم بين المتخاطبين يعتمد التبادل الإشاري والعلامي المنطوق في الكلام , وغالباً ما يتم على شكل سلسلة من الآراء والأفكار القابلة للحوار أو طرح الأسئلة المتعلقة بالحدث وتطوره وتفاصيل مكوناته والإجابة عليها ضمن حركة لغوية متبادلة"[20]،ولا يشترط في الحوار أنْ يكون بين متحاورين عديدين، فقد يكون ملفوظاً داخلياً عندما يكون بين الشخصية وذاتها[21]، ويمكن الوقوف على نمطين من الحوار وهما : الحوار الخارجي والحوار الداخلي .

1: الحوار الداخلي:

وهو الذي يعبر فيه الشاعر عن دواخله وأحاسيسهُ المُضطربة على شكل حوار يتصل بذات الأنسان نفسه متمثلاً بضمير المتكلم أو ما يمثله أحياناً بتصوير شخصيات وهمية لا يراد منها الا التواصل لخطاب الذات داخل النص الشعري أحياناً أخر[22]، فيضفي الشاعر على النص الشعري نوعاً من الدراما التي تلامس مشاعره وأحاسيسه [23]،وتأملاته وفلسفته في الحياة وفقاً لتجربته الذاتية ونظرته للحياة والواقع ،وتشترك في هذا الحوار شخصية واحدة يقدم لنا كلامها بصورة مباشرة في مشهد تظهر فيه وهي تتحدث إلى نفسها حديثاً صامتاً ،وهو تعبير عن حالة شعورية معينة تعتريها في لحظة ما وتكشف لنا الحوار الجانبي الداخلي للشخصية، فتظهر لنا آلامها وهمومها ومشاكلها وكل ما نفكر به [24]، فيوظف الشاعر هذا الحوار الداخلي للشخصية لتعبر عما تحس به ،فتكون الشخصية هي المرسل والمتلقي في نفس الوقت ليعبر عما " يدور فيها وما يتصارع فيها من عواطف وانفعالات وما تناوب عليها من رؤى وأحلام وذكريات في عفويتها وتلقائيتها ،كاشفاً بهذا التصوير حقيقة تلك الشخصية في خصوصيتها وتفردها مع حرصه على الاختفاء من أمامها"[25]، ويأتي الحوار بألوان متعددة تبعاً للغاية والغرض الذي يؤديه داخل النص ويأتي في الطيف على شكل خطاب مباشر موجه الى ذات الشاعر بصورة مباشرة ،كما فعل أبو إسحاق الإلبيري (460هـ)[26]، في قصيدته التي نعى بها زوجته فقال[27]:

عج بِالمَطيّ عَلى اليَبابِ الغامِرِ ... وَارِبَع عَلى قَبرٍ تَضَمَّنَ ناظِري

فَسَتَستَبينُ مَكانَهُ بِضَجيعِهِ ... وَيَنِمُّ مِنهُ إِلَيكَ عَرفُ العاطِرِ وَكَريمِ

فَلَكَم تَضَمَّنَ مِن تُقىً وَتَعَفُّفٍ ... أَعراقٍ وَعِرضٍ طاهِرِ

وَاِقرَ السَلامَ عَلَيهِ مِن ذي لَوعَةٍ ... صَدَعَتهُ صَدعاً ما لَهُ مِن جابِرِ

فَعَساهُ يَسمَحُ لي بِوَصلٍ في الكَرى ... مُتَعاهِداً لِيَ بِالخَيالِ الزائِرِ

فَأُعَلِّلَ القَلبَ العَليلَ بِطَيفِهِ ... عَلّي أُوافيهِ وَلَستُ بِغادِرِ

إِنّي لَأَستَحيِيهِ وَهُوَ مُغَيَّبٌ ... في لَحدِهِ فَكَأَنَّهُ كَالحاضِرِ

أَرعى أَذِمَّتَهُ وَأَحفَظُ عَهدَهُ ... عِندي فَما يَجري سِواهُ بِخاطِري

لقد حاور الشاعر زوجته المتوفية في صورة الطيف ليكشف لنا الحوار حزن الشاعر الكبير بفراق زوجته ولم يبق من بقايا الوصـال غير الطيف الذي يؤرق الشـاعر ،حتى أنه يتمنى ان يزوره في المنام، ليحاوره ويفرغ ما في قلبه من مشـاعر وأحاسـيس ،فيأتي لنا الشـاعر بصـورة مليئة بالوجع والحرمان والأسـى لتلتقي مع شـوقه ولهفته إلى لقاء الحبيبة، وهي امرأة تكمن فيها كل الصـفات الجميلة من تقى وعفاف وكرامة أصـل وطهارة نفسٍ، وهي جديرة بهذه المنزلة التي وضـعها لها الشاعر في نفسه لتحتل مكانة عظيمة ومرموقة فيها تمثلت برابطة متينة سامية وعلاقة محكمة الأواصـر نلاحظها في أبياته التي كانت جزعة وحزينة عليها، فيتمنى الشـاعر من طيفها أن يزوره كي يحاوره ويعلل قلبه المشتاق بطيفها، ليبرهن لها أنه ليس بغادر وأنه على العهد باقٍ حتى بعد وفاته، وإن كانت غائبة تحت اللحد ألا أنها حاضـرة في خياله ويرعى ذمتها الى الأبد، وهذا ما يميز جمال النص ،فقد أستطاع الشـاعر أن يبين لنا حالة الصـراع الداخلي الذي يعيشـه ذات الشـاعر من خلال حواره لطيف زوجته الراحلة ،فقد عقد النص حواراً بين الذات وطيف الزوجة أظهرته الضمائر فالذات ظهرت في الضمير المستتر (أنا) في الأفعال(أربع_ أعلل_ أوفيه_ أستحييه_ أرعى_ أحفظ)، فابتعادها عنه جعله يصـوغ حلم يقظة يتخيل فيها زيارتها لهُ ،فالمرأة هي ألهّم الأكبر عند الشعراء العشاق ولذلك كان طيفها ملازم الحضور في مخيلتهم يتحاورون معهُ.

وقد يعمد الشـاعر الى توظيف الطيف عبر حواره لنفسـه للدلالة على شـخصـية معينة كان لها حضـورها في حياته ،ليبرهن من خلاله على أن غياب تلك الشـخصـيات وانقطاعها عنه ومرارة فراقها يجعل حضـور طيفها في الخيال أمراً مهماً لمكانتها وأهميتها ،ومن ذلك قول أبو الوليد سُليمان خلف الباجي(ت474هـ)[28]، في رثاء ابنه محمد إذ يقول[29]:

أمحمّد أن كنت بعدك صابرا	صبر السليم لما به لا يسلم
ورزئت قبلك بالنبي محمّد	ولرزوه أدهى لدّي واعظم
فلقد علمت أنّني بك لاحق	من بعد ظنّي أنّني متقدّمُ
لله ذكر لا يزال بخاطري	متصرّف في صبره متحّكم
فإذا نظرت فشخصه متخيّل	وإذا أصخت فصوته متوهّم
وبكلّ أرض لي من أجلك لوعة	وبكلّ قبر وقفة وتلوّمُ

يرثي الشـاعر أبنه ويحاور طيفه قائلاً: أنه قد رُزء بفقد للنبي محمد (صـلى الله عليه وسـلم) من قبله وكانت المصيبة أكبر وأعظم ، ورغم ذلك فهو صابراً محتسباً مؤمناً بقضاء الله ، وإن الموت حق على كل أنسـان وهو يدرك بأنه سـيلحق بابنه ،وإن طيفه لم يغب عنه أبداً فهو يراه في كل مكان ويسمع صوته يهمس في أذنيه .

ويجسد حوار الشـاعر مع طيف أبنه صورة الذات المُتعبة المُضطربة المكسورة التي تحاول إعادة الاستقرار النفسي، وقد شارك هذا الحوار في تكريس فكرة الحضور والغياب بالألفاظ (بعدك_ قبلك _بك لاحق_ ذكر بخاطري_ شخصه متخيل_ صوته متوهم_ بكل أرض_ بكل قبر)، فالشاعر

كان يظن أنه سيموت قبل أبنائه ضمن تسلسل العمر، ولكن قدر الله تعالى لهُ ترتيب خاص يختلف عن ترتيب الشاعر ، ثم يعود الشاعر الى إيمانه وتسليمه للقدر ولكنه حالة من لاشعور مع طيف ابنه ،فتارة يراه وأخرى يسمعه ،ليجد في النتيجة أن كل ذلك وهم من شدة الشوق لأبنه .

فكانت لتقنية الحوار الدور الأساس في إدارة مجريات النص ، وكان الحوار الداخلي هو المسيطر على النص لينقل لنا معاناة الشاعر النفسية وحزنه على فراق ابنه وهو أمام حقيقة مرة وهي حقيقة الفراق الأبدي، وابن خفاجة(ت 533هـ) يتذكراً صديقه وأيامه الجميلة التي خلت فيقول[30]:

وَلَئِن سَلَوتَ وَما إِخالُكَ ناسِياً ... كَرَمَ الإِخاءِ فَإِنَّني أَتَشَوَّقُ
وَيَهيجُني نَفَسُ النَسيمِ إِذا سَرى ... وَيَشوقُني فيكَ الحَمامُ الأَورَقُ
فَإِذا تَطَلَّعَ مِن سَمائِكَ بارِقٌ ... أَو طافَ زَورٌ مِن خَيالِكَ يَطرُقُ
خَفَقَت لِذِكرِكَ أَضلُعي فَكَأَنَّ لي ... في كُلِّ جانِحَةٍ جَناحاً يَخفِقُ
وَتَمَلَّكَتني لَوعَةٌ مَشبوبَةٌ ... شَوقاً إِلَيكَ وَعَبرَةٌ تَترَقرَقُ
فابْعث بطيفك باغتاً أو واعداً ... إني إليه كيف كان لشيقُ
وَصِل التحية إِنَّ عَهدَكَ زَهرَةٌ ... تَندى وَذِكرَكَ نَفحَةٌ تُتَنَشَّقُ

بدأ النص ب(لئن) من أجل تأكيد حاجة الشاعر التي يريدها ،فقد حاور الشاعر طيف صديقه وذكره بالأيام الجميلة التي خلت والكرم الذي بينهم ،ويهيجه على الذكرى نفس النسيم اذا سرى مع الصبح الهادئ الجميل وهو وقت يرمز الى النور والاشراق والقوة والنشاط والحيوية ، ويشوقه اليه الحمام الأورق ،حتى إذا حل طيفه فإذا بحال الشاعر ينقلب وتخفق أضلعه ويرتبك من شدة اللوعة والاشتياق فيتخيله حاضرا بين جوانحه وأضلعه وتترقرق العبرات من شدة الشوق اليه ،فيتمنى من صديقه أن يبعث بطيفه بغتة أو بموعد مسبق ،المهم أن يأتي طيفه كي يهون عليه شدة الفراق ويخفف من حرقته ليطفئ لهيب اشتياقه ،فيرسم لنا الشاعر لوحة فنية رائعة يجسد فيه حالته النفسية معتمداً على التراسل بين حاستي السمع والشم ،فذكراه نفحة تتنشقُ ،فقد جعل المسموع مشموماً ،كما جسد الصورة الاستعارية بتصويره للعهد الجميل معه بزهرة نديّة مثمرة فوّاحة ، وهي صورة حسية بصرية شمية حركية تبرز مكانة الصديق ومعزته ومكانته الكبيرة لدى الشاعر ،مما جعله يستحضر طيفه ويتذكره ويحاوره بعد أن حال البعد بينهما، كما استخدم الشاعر قافية القاف وهو حرف قوي يرمز الى القوة ،وقد ذكر الالفاظ (أتشوق_ أورق_ يطرق_ يخفق_ ترقق_ شيق_ تتنشق) من أجل الإلحاح والإصرار الذي يبين أن الذات لديها حاجة ماسة الى هذه المعاني التي عبرة عن شدة لوعة واشتياق الشاعر.

2:الحوار الخارجي:

ويكون بين شخصيتين أو أكثر من شخصيات النص الأدبي وفق حادثة معينة فالمتكلم يتكلم بصورة مباشرة الى المتلقي المباشر إذ يتبادلان الكلام بينهما دون أن يتدخل الراوي[31]،ويأتي بصيغٍ استفهاميةٍ ولوازمِ حواريةٍ متنوعةٍ ويقتصرُ دور الراوي على ايضاحِ دور المتحاورين ومواقفهمِ بصورةٍ تنسجمُ مع الأحداثِ " وهو يشكل نقطة انطلاق الشخصيات العامة للتفاهم فيما بينها, حينما يكون القاص هو المدبر الفعلي لآليات التشكيل السردي في النص"[32]، ويلجأ الشاعر الى هذا النوع من الحوار لبلورة أفكاره في النص " وغالباً ما يلجأ المؤلف الى استخدام أكثر من صيغة واحدة في النص لكسر الرتابة"[33]،فهو حديث يجري بين الشخصيات المختلفة داخل النص الأدبي ،فهو أسلوب يقوم أساساً على ظهور أصوات لأشخاص مختلفين[34]، ويقسم هذا النوع من الحوار إلى :الحوار المباشر وهو حوار يدور بين الشخصيات داخل النص بشكل مباشر يوجه فيه المتكلم كلامه مباشرة إلى متلقٍ ويتبادلان الكلام [35]، وفي الغالب يتم بصيغة (قال ،يقول) وما يمثلها داخل النص ، والحوار غير المباشر وهو الحوار الذي يكون فيه المتلقي لا دور لهُ ،ويكون هذا النوع أكثر الأنواع استعمالاً في الشعر إذ أنه يحقق التلاؤم في الشعر مما يتيح للشاعر فرصة سرد الأحداث وفق أساليب مختلفة معتمداً في اغلب الأحيان على صيغة القول(قلت) وما يمثلها من غير أن يكون هنالك جواباً للمتلقي، وقد يأتي بصيغ النداء أو الاستفهام أو بضمير المخاطب أحياناً أخرى ،كقول ابن اللبانة الداني(507هـ)[36]، وهو يستعطف ناصر الدولة ويستلطفهُ فيقول[37]:

نسيمك حتام لا ينبرى	وطيفك حتام لا يعترى
أعيذك من عَرَضٍ أن يكون	وأنت الذي كنت من جوهر
أتذكر أيامنا بالحمى	وأيامنا بذوى الأعصر
ألا رأفة من وفيّ صفيّ	ألا عطفة من سنيّ سرى
رمى زحل في أظفاره	وحل يرا عَنَي المشتري
عطارد هل لك من عودة	فأرجع منك الى عنصري

إذ تكشف الحوارية عن رقة الشاعر في حديثه مع ناصر الدولة ،فقد عمد الشاعر لهذا النوع من لمخاطبة الممدوح الذي حضر في الضمير المتصل (الكاف) في الألفاظ :نسيمك _طيفك _أعيذك ،والضمير (نا) في لفظة :أيامنا ،لإضفاء القيم الاجتماعية والفضائل النفسية إذ يتلمس الشاعر صفة الشجاعة في ممدوحه بتذكيره بأيام الحمى في ساحات الحرب وإن طيف الممدوح لا يفارقه في أي مكان فهو أشد نوراً وبهجة حتى من زحل والمشتري وعطارد ،فهو يحاول في حوار لطيف ممدوحه ان يستعطف ويتلطف ممدوحه ، وفي موضعاً اخر يمدح ناصر الدولة فيقول[38]:

لم يدر طيفك موضعي من مضجعي	فعذرته في أنه لا يطرق
جفت عليك منابتي ومنابعي	فالدمع يَنشَغُ والصبابة تورق
وكان أعلام الأمير مبشر	نشرت على قلبي فاصبح يخفقُ
الخيزرانة تلتظي في كفه	والتاج فوق جبينه يتألق

وكان صـــوب حيـا وصـــعـقـة بـارق ما ضـــم مـنـه نـديـه والمـازق

يحاور ممدوحه بواســطة الضــمير المتصــل (الكاف) في الالفاظ : طيفك _عليك، وتكشــف المحاورة عن لجوء الشــاعر إلى خطاب واســتنطاق طيف الممدوح ،ويبحث عن طيفه في كل مكان ليداوي قلبه فلا يجدهُ ،ثم يتعذر عن طيفهِ وعدم حضــوره ،ويعذرهُ فهو لا يجده في موضــعه لأنه لا يكاد يراه فهو شــحيحٌ جاف لاحول لديه ولا قوة بســبب غياب وبعد ممدوحه عنه ،وحتى منابع عينيه قد جفت من كثرة البكاء.

ويقول ابن اللبانة [39]:

قـــالوا الخـــيـــال حـــياته لو زارهُ قـــلت الحـــقـــيـــقـــيـــة قلتم لو غمضا

يـهـوى العقيق وساكنيه وان يكن خـبـر الـعـقـيـق وســـاكـنـيـه قـد انـقـضـى

ويـــــود عـــــودتـــه الى مـــا اعـــتـــاده ولقـــلَّمـــا عـــاد الشـــبـــاب وقـــد مضى

ألفِ الســـرى فـــكـــأن نـــجـــمـــا ثاقباً صـــدع الدجـــى مـــنـــه وبـــرقـــاً مومضا

طـــلـب الغـــنـــى مـــن ليـــله ونـــهـــاره فـــله عـــلى القـــمـــريـــن مـــالٌ يقتضي

يلجأ الشاعر الى أسلوب الحوار المباشر في الطيف ب(قالوا –قلت) من أجل الوصول الى صفات الممدوح ،فهم يقولون انه الخيال ولكن هو يراه الحقيقة ،فهو العقيق والنجم الثاقب الامع ،حتى ان الدجى يصــدع من شــدة لمعته وهي كناية عن الكرم لدى الممدوح ،ولجأ الشــاعر الى هذا النوع من الحوار لكي يكشف عن عظم الطب الذي أصابه والمأساة التي كان يعيشها في حياته .

وقال ابن خفاجة وهو يحاور صاحبه [40]:

وَجَـدُّكَ يَســتَـولي وَرَأيُـكَ يَـنـتَضـي وَعَـزمُـكَ يَسـتَـجري وَسَـعـدُكَ يَسـبِقُ

وَمـا صَـــدَّتِ الحَســـنـاءُ عَـنـكَ زَهـادَةً وَلَـكِـن زَهـاهـا أَنَّـهـا تُـتَـعَشَّـــقُ

فَـظَـلَّـت تَـجُـرُّ الـذَيـلَ تـيهـاً وَإِنَّـهـا لَأَغـلَـقُ رَهـنـاً فـي هَـواكَ وَأَعـلَـقُ

وَإِلّا فَـمـا لِـلـقَـطـرِ قَـد فـاضَ عَـبـرَةً هُـنـاكَ وَمـا لِـلـرَعـدِ قَـد بـاتَ يَشـهَـقُ

تَـخِـفُّ بِـهـا ذِكـراكَ حَـتّى كَـأَنَّـمـا يُـطـيـفُ بِـهـا مِـن مَـسِّ حُـبِّـكَ أَولَـقُ

وَتُـهـدي إِلَـيـكَ الـريـحُ عَـنـهـا تَـحِـيَّـةً تَـفـوهُ بِـمـا تَـحـتَ الضُـلـوعِ فَـتَـنـطِـقُ

يحاور الشاعر صاحبه بواسطة ضمير المخاطب (ك) وهو يتلمس فيه الصفات الحسنة فوجده يســتولي ويســيطر على كل شــيء، ورأيه ينتظر الجميع، وان عزم على شــيء فعلهُ وســعده يســبق الأمور، ثم يلجأ الشــاعر إلى خطاب الطبيعة للتوصــل إلى صــفات صــاحبه فالقطر يفيض والرعد يشــهق والرح تنطق فتهدي التحية، كل تلك الظواهر التي يطوف بها ذكراه من مس حبه الشــديد له.

يتبين مما ســبق أن توظيف الحوار في الطيف هو عنصــراً أســاســياً في العمل الشــعري، فقد اســتخدم الشــعراء الحوار مع احبابهم واصــحابهم ليجســدوا لوحة طيفية يعبرون فيها عن احاســيســهم، وما يعانونه من ألم وبعد، فيلجأ اليه الشــاعر في قصــيدته أغلب الأحيان ليكون

منطلق لبيان الغرض الأساسي في القصيدة، وتتعدد اشكال الحوار بتعدد الشخصيات المشاركة فيه، وتعدد وجهات النظر، وطريقة استخدام الشاعر لهُ في النص الشعري، فهو يتيح للشاعر المساحة الكافية داخل النص من أجل ترجمة أفكاره داخل النص بكل سلاسة وحيوية.

الخاتمة :

الطيف وهو يشكّل ظاهرةً مميزةً عند شعراء عصر الطوائف ، استمر يلعب دوراً أساسياً في تصوير مكنوناتهم الشعرية ، فظهرت تجليات الطيف على وفق أبعاد تصورية مختلفة ، وقد حضر الحوار في الطيف وهو عنصراً أساسياً في العمل الشعري، فقد استخدم الشعراء الحوار مع احبابهم واصحابهم ليجسدوا لوحة طيفية يعبرون فيها عن احاسيسهم، وما يعانونه من ألم وبعد، فيلجأ اليه الشاعر في قصيدته أغلب الأحيان ليكون منطلق لبيان الغرض الأساسي في القصيدة، وتتعدد اشكال الحوار بتعدد الشخصيات المشاركة فيه، وتعدد وجهات النظر، وطريقة استخدام الشاعر لهُ في النص الشعري، فهو يتيح للشاعر المساحة الكافية داخل النص من أجل ترجمة أفكاره داخل النص بكل سلاسة وحيوية.

فالطيف هو ذلك البساط السحري الجميل الذ ينقلنا إلى ما نريد متى ما نشاء وحيثما نشاء.

المصادر والمراجع

1. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفى: 542هـ) ،المحقق: إحسان عباس ،الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ،ط1 ،1978م
2. الأدب وفنونه دراسة ونقد عز الدين إسماعيل ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط9 ،2004م.
3. الأسلوب ،احمد الشايب ،مكتبة النهضة المصرية –القاهرة ،ط8 ،1991م
4. أسلوب الحوار في النص الشعري ،حازم فاضل، مجلة جامعة بابل _العلوم الإنسانية _المجلد 23 _العدد4 ،2015م .
5. أنماط الحوار في شعر محمود درويش، عيسى قويدر العبادي ،دراسات العلوم الإنسانية والأجتماعية ،المجلد 41 ،العدد الأول ،2014م .
6. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد الحسيني.(1213 هـ 1798م). الناشر: دار ليبيا للنشر والتوزيع، طبع في دار صادر،1966.

7. تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة : محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة – القاهرة ،2015م .
8. جماليات التشكيل الروائي ،محمد صابر عبيد وسوسن البياتي ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،ط1، 2008م .
9. جماليات الحوار في شعر أبي نؤاس، محمد صائب خضير ،مجلة الأستاذ، العدد 220 ،المجلد الأول لسنة 2017م ،جامعة بغداد-كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية.
10. جمهرة أنساب العرب ، ابو محمد علي بن حزم ،ت عبد السلام هارون ، دار المعارف – القاهرة ، ط5 ،1962م .
11. خطاب الحكاية بحث في المنهج ،جيرار جنيت ،ترجمة، محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي ،المجلس الأعلى للثقافة ،ط2 ،1997م.
12. ديوان ابن اللبانة الدايني ،جمع وتحقيق محمد مجيد سعيد ،دار الراية للنشر والتوزيع –عمان ،ط2 ،2008م .
13. ديوان ابن خفاجة، ت السيد مصطفى غازي، دار المعارف-بيروت،ط1 ،2006م.
14. ديوان ابي إسحاق الالبيري الاندلسي ، تحقيق محمد رضوان الداية ،دار الفكر المعاصر-بيروت لبنان،ط1 ،1991م .
15. رسم الشخصية في روايات حنا مينة، فريال كامل سماحة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت – لبنان، ط1 ، 1999م .
16. السرد القصصي في الشعر الاندلسي، إنقاذ عطا الله محسن ، دار غيداء للطباعة والنشر،ط1 ،2014م .
17. الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل ،دار العودة_ بيروت ،ط3 ،1981م.
18. الشعرية ،تزفتيان تودوروف ،ترجمة :شكري المبخوت ورجاء سلامة ،دار توبقال للنشر_الدار البيضاء المغرب ،ط2 ،1990م .
19. طيف الخيال ،الشريف المرتضى ،تحقيق محمد سيد كيلاني ،شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده ،مصر ،ط1 ،1955م.
20. طيف الخيال في الشعر الجاهلي بواعثه وتجلياته ،مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ،مجلد20 ،العدد7 ،2013م.
21. الطيف والخيال،حسن البنا عز الدين،دار الحضارة للنشر-القاهرة.
22. العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصاغاني، الحسن بن محمد ، دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1981.
23. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ابن خاقان الأشبيلي(529هـ) ،ت حسين خربوش ،مكتبة المنار-الأردن .الزرقاء،ط1 ،1989م .

24. الكاتب وعالمه، شارلز مورجان، ترجمة الدكتور شكري محمد عياد ، مراجعة مصطفى حبيب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، د.ط ،2012م .
25. لسان العرب ،ابن منظور، جمال الدين بن مكرم ،ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت).
26. لمحات من الشعر القصصي في الادب العربي، الدكتور نوري حمودي القيسي ، منشورات دار الجاحظ للنشر- بغداد ،د.ط ،1980م .
27. مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي، محمد صابر عبيد و سوسن البياتي ،دار العين للنشر_القاهرة ، ط1 ،2008م .
28. المصطلح في الادب الغربي، د. ناصر الحاني، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا-لبنان ،1984م .
29. المعجم الادبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط1 ،1979م .
30. معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت – لبنان،ط1 ،1405-1985م .
31. المعجم الوسيط ،إبراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد ، أشرف على الطبع : حسن محمد شوقي أمين ، دار الأمواج ، بيروت ، ط2 . 1987 .
32. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، 1968.

---

[1] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، 1968: 211/1 .

[2] العباب واللباب الفاخر،1981: 398 – 404.

[3] لسان العرب،(د.ت)،(مادة طوف)،

[4] تاج العروس، 1306 م ،"مادة طوف" .

[5] ينظر: المعجم الوسيط، 1987 ، (مادة طوف)

[6] تاج العروس من جواهر القاموس ،1966م، ج6: 184-185).

[7] طيف الخيال،2009م :15 .

[8] طيف الخيال في الشعر الجاهلي بواعثه وتجلياته ،2013م:161 .

[9] ينظر:طيف الخيال:6 .

[10] الأسلوب ،احمد الشايب ،مكتبة النهضة المصرية –القاهرة ،ط8 ،1991م : 43 .

[11] ينظر: المعجم الادبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط1 ،1979م :227 .

[12] ينظر : الأدب وفنونه دراسة ونقد عز الدين إسماعيل ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط9 ،2004م،:21 .

[13] المعجم الادبي :100 .

[14] ينظر: معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت –لبنان،ط1 ،1405-1985م :78 .

[15] المصطلح في الادب الغربي، د. ناصر الحاني، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا-لبنان ،1984م :53 .

[16] ينظر: الكاتب وعالمه، شارلز مورجان، ترجمة الدكتور شكري محمد عياد ، مراجعة مصطفى حبيب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، د.ط ،2012م :247 .

[17] الكاتب وعالمه :243.

[18] ينظر: لمحات من الشعر القصصي في الادب العربي، الدكتور نوري حمودي القيسي ، منشورات دار الجاحظ للنشر- بغداد ،د.ط ،1980م :33-34 .

[19] السرد القصصي في الشعر الاندلسي، إنقاذ عطا الله محسن ، دار غيداء للطباعة والنشر،ط1 ،2014م :243

[20] مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي، محمد صابر عبيد و سوسن البياتي ،دار العين للنشر_القاهرة ، ط1 ،2008م : 36 .

[21] ينظر: جماليات التشكيل الروائي، محمد صابر عبيد وسوسن البياتي ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،ط1، 2008م :287 .

[22] ينظر: أنماط الحوار في شعر محمود درويش، عيسى قويدر العبادي ،دراسات العلوم الإنسانية والأجتماعية ،المجلد 41 ،العدد الأول ،2014م :30 .

[23] ينظر جماليات الحوار في شعر أبي نؤاس، محمد صائب خضير ،مجلة الأستاذ، العدد 220 ،المجلد الأول لسنة 2017م ،جامعة بغداد-كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية:3 .

[24] ينظر: تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة : محمود الربيعي، المركز القومي للترجمة – القاهرة ،2015م : 43.

[25] رسم الشخصية في روايات حنا مينة، فريال كامل سماحة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت – لبنان، ط1 ، 1999م : 41.

[26] أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التُجيبي المعروف باسم أبي إسحاق الألبيري (ت 460) هو شاعر أندلسي عاش في غرناطة نظم أشعارًا في الزهد والحكمة، ولم تحدد كتب التراجم تاريخ ولادته (ينظر: جمهرة انساب العرب ،ابن حزم ،430)

[27] ديوان ابي إسحاق الالبيري الاندلسي ، تحقيق محمد رضوان الداية ،دار الفكر المعاصر-بيروت لبنان،ط1 ،1991م :90 .

[28] أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي (15 ذي القعدة 403 هـ - 19 رجب 474 هـ) هو بدر العلوم اللائح، وقطرها الغادي الرائح ،فقيهٌ مالكي ومحدّثٌ وقاضٍ وشاعر أندلسي، له العديدُ من التصانيف (ينظر: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ،لأبن خاقان :188/1).

[29] قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ابن خاقان الأشبيلي(529هـ) ،ت حسين خربوش ،مكتبة المنار-الأردن الزرقاء،ط1 ،1989م :188/1.

[30]ديوان ابن خفاجة :212 .

[31] ينظر: خطاب الحكاية بحث في المنهج ،جيرار جنيت ،ترجمة، محمد معتصم وعبد الجليل الآزدي وعمر حلي ،المجلس الأعلى للثقافة ،ط2 ،1997م: 185-186 ،وينظر الشعرية ، تزفتيان تودوروف ،ترجمة :شكري المبخوت ورجاء سلامة ،دار توبقال للنشر _الدار البيضاء المغرب ،ط2 ،1990م :46 -47 .

[32] جماليات التشكيل الروائي ،محمد صابر عبيد وسوسن البياتي ،دار الحوار للنشر والتوزيع ،ط1، 2008م 287:

[33] م ،ن :287 .

[34] ينظر: أسلوب الحوار في النص الشعري ،حازم فاضل، مجلة جامعة بابل _العلوم الإنسانية _المجلد 23 _العدد4 ،2015م : 2 .

[35] ينظر: الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل ،دار العودة_ بيروت ،ط3 ،1981م: 298 .

[36] أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني المعروف بابن اللبانة(507هـ)هو شاعر أندلسي عاش خلال القرن الخامس الهجري كان من أهمّ وأشهر شعراء عصره، وقد كان مقرَّباً إلى الكثير من ملوك الطوائف وكان يكثر من مدحهم بقصائده، خصوصاً المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية ظلَّ مخلصاً لابن عبَّاد حتى بعد سقوط دولته وأسره، واستمرَّ بالتردد عليه لزيارته ،وإضافة إلى الشعر، توسَّع ابن اللبانة في الفقه والأدب (ينظر: الذخيرة ،لأبن بسام :364/3) .

[37] ديوان ابن اللبانة الدايني ،جمع وتحقيق محمد مجيد سعيد ،دار الراية للنشر والتوزيع –عمان ،ط2 ،2008م :71 .

[38] ديوان ابن اللبانه :99 .

[39] ديوان الشاعر :59 .

[40] ديوان ابن خفاجة :184 .